﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [الأعراف: 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

حكايتُه تعالى ما كان من أمرِ أولئك المفسدين الّذين كان مآلُهم تلكم العاقبة

لمّا لخَّص في الآية السّابقة جميعَ ما جاء في قصّة موسى عليه السلام مع فرعونَ وملَئِهِ بأسلوب التّشويق والتّنبيه؛ قصَّ تعالى ما كان من مبدأ أمرِ أولئك المفسدين الّذين كان مآلُهم تلكم العاقبة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: (علم) العينُ واللّامُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على أثرٍ بالشّيء يتميّزُ به من غيره[2]. ومنه: العالِم وهو الَّذي يعمَلُ بما يعلمُ[3].

وكذلك العالَم: اسمٌ للفلك وما يَحويهِ منَ الجواهر والأعراض، وهو في الأصل اسمٌ لما يُعَلَّمُ به كالطّابع، والخاتمُ لما يُطبَعُ به، ويُختَمُ به، وجُعِلَ بناؤُه على هذه الصّيغة لكونه كالآلة، والعالَم آلة[4]. ومنَ الباب: العالَمون، جمع عالَم، لا واحِدَ لعالَمٍ من لَفظه؛ لأنّ عالَمًا جَمعُ أشياءَ مُختَلفَةٍ، فإن جُعِلَ عالَمٌ لواحِدٍ مِنها صار جمعًا لأشياءَ متَّفقةٍ؛ وذلك أنّ كلَّ جنسٍ منَ الخلق فهو في نفسه معلَّمٌ وعَلَمٌ. وقال قومٌ: العالَمُ سُمّي لاجتماعه، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، فالعالَمون: الجنّ والإنس، أو: الخلق كلّهم، وكلُّ ما خلق اللّهُ؛ أي: الخلائق أجمعون[5].

(1) رضا، تفسير المنار: 9/36 - 37.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (علم).
(4) الرّاغب، المفردات: (علم).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).

❁ المعنى الإجماليُّ:

تفصيلُ أحداثِ قصّةِ موسى بدايةً بالتّعريف بالنّفس، وبمهمّة التّكليف

قال موسى مُفتتحًا حوارَهُ مع فرعونَ بعبارةٍ لطيفةٍ وأسلوبٍ حسنٍ: إنّي رسولُ اللّه، اصطفاني لأجلِ رسالة الرّشاد، مُرسَلٌ إليك وإلى قومك من ربِّ العالمين، خالقِ كلِّ الموجودات، والمِدِّ لها على الدّوام بعطاءاتِ رُبوبيّته.

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى: أنّ مهادَ الدّعوةِ الكلمةُ الطّيّبةُ اللّيّنةُ، والموعظةُ الحسنةُ، وإلى أنَّ في الكون ربًّا واحدًا، وللعالمين إلهًا واحدًا، وهذا قوامُ الوحدانيّةِ، وإلى أنَّ في التّأكيد نفيًا للرّبوبيّة عمّن سواه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوصلِ في الآية:

استتبعَ التّشويقَ بقصّ حكاية عاقبة المفسدين

بعد هذا التّشويقِ والتّنبيهِ قصّ تعالى علينا ما كان من مبدأ أمرِ أولئك المفسدين الّذي انتهى إلى تلك العاقبة[2]، فقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ كلامٌ مبتدأٌ مَسوقٌ لتفصيل ما أُجملَ فيما قبله من كيفيّة إظهار الآياتِ وكيفيّةِ عاقبةِ المفسدين ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ﴾؛ أي: إليك ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ على الوجه الّذي مرَّ بيانُه[3].

بيانُ تشابهِ حالِ الماضين مع حالِ الحاضرين المُكذِّبين بالنّبيّ محمّد ﷺ

وعطفَ قولَ موسى بالواو، ولم يفصل عمّا قبله، مع أنَّ جملةَ هذا القول بمنزلة البيان لجملة ﴿بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ﴾؛ لأنّه لمّا كان قولُه: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ حالًا من موسى؛ فقد فُهِمَ أنّ المقصودَ تنظيرُ حالِ الّذين أُرسِلَ إليهم موسى بحال الأممِ الّتي مضى الإخبارُ عنها في المكابرة على التّكذيب، مع ظهورِ آياتِ الصّدق؛ ليتمَّ بذلك تشابهُ حال الماضين مع حال الحاضرين المُكذِّبين بالنّبيّ محمّد ﷺ، فجعلَت حكايةُ محاورةِ موسى مع فرعونَ وملئِه خبرًا مستقلًّا؛

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 10/48.
(2) رضا، تفسير المنار: 9/36 - 37.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/257.

لأنّه لم يُحكَ فيه قولُهُ المقارنُ لإظهار الآيةِ بل ذُكِرَت الآيةُ من قبلُ، بخلاف ما حُكيَ في القَصصِ الّتي قبلَها، فإنّ حكايةَ أقوالِ الرّسلِ كانَت قبلَ ذكرِ الآيةِ؛ ولأنّ القصّةَ هنا قد حُكيَ جميعُها باختصارٍ بجُمَل: ﴿بَعَثْنَا﴾، ﴿فَظَلَمُواْ﴾، ﴿فَٱنظُرْ﴾، فصارَت جملةُ: (قال) تفصيلًا لبعض ما تقدَّمَ، فلا تكونُ مفصولةً؛ لأنّ الفصلَ إنّما يكونُ بين جملتين، لا بينَ جملةٍ وبين عدّةِ جملٍ أُخرى[1].

بيانُ متشابهِ العَطفِ، وافتراقِه:

في تشابه العطف واختلافه دقّةٌ في البلاغة تناسبُ سياقَ الآيات

عطفَ بالفاء في قصّة نوح، وعطفَ بالواو في قصّة موسى، وفصَلَ بيانيًّا في القصص الّتي بينهما بما يشبهُ الفصلَ في قصّة موسى في سورٍ أخرى، فأمّا الأوّلُ فعطفَ التّبليغَ فيه على الإرسالِ بالفاء؛ لإفادةِ التّعقيبِ وعدمِ جوازِ تأخيرِ تبليغِ الدّعوة، وأمّا الفصلُ في القَصص بعدَه؛ فلأنّه لمّا صار هذا معلومًا، وكان ما جرى من أمرِ قومِ نوحٍ عِبرةً لقوم هودٍ، وكانا معًا عِبرةً لقوم صالحٍ، وهلمَّ جرًّا؛ حسن في كلِّ قصّةٍ من هذا الفصل على أنّه جوابٌ لسؤالٍ مُقدَّرٍ، كأنّ قائلًا يقولُ في كلٍّ منها: ماذا كان من أمر هذا النّبيّ مع قومه؟ كما تقدّم بيانُه، وأمّا الأخيرُ الّذي نحن بصدده فوجهُ العطفِ فيه، وكونُه بالواو هو أنّه قد قفَّى في قصّةِ موسى هنا على ذكر إرسالِه إلى فرعونَ وملئِه بذكر نتيجةِ هذا الإرسالِ وعاقبتِه بالإجمال، وهو قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ﴾، وبُدِئَتِ القصّةُ بعدَه بتفصيل ذلك الإجمال ومقدّمات تلك النّتيجة، فكان المناسبُ أن يعطفَ عليها، لا أن يستأنفَ استئنافًا بيانيًّا لما هو ظاهرٌ منَ الاشتراك بين المقدّماتِ والنّتيجةِ، أو بين التّفصيلِ والإجمالِ، وأن يكونَ العطفُ بالواو لا بالفاء؛ لأنّ الفاءَ تدلُّ على التّعقيب والتّرتيب، وهو لا يصحُّ هنا؛ لأنّه يقتضي أن تكون المقدّماتُ مُتأخّرةً عنِ النّتيجة، وذلك باطلٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/37.

بالبداهة، فتعيّنَ أن يكونَ العطفُ بالواو، وهذه دقّةٌ في البلاغة لا يهتدي إلى مثلها إلّا غواصو بحرِ البيانِ[1].

نكتةُ الابتداءِ بنتيجة القصّة:

تشابهُ القصصِ مفتتحًا وغايةً سـوّغ الابـتـداءَ بنتيجتها

وحكمةُ بدءِ القصّةِ بذكر نتيجتها، والعبرةُ المقصودةُ منها في قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أن تكونَ متّصلةً بما يناسبُها منَ العِبرةِ في القَصص الّتي قبلَها، من حيث إهلاكُ معاندي الرّسلِ ﷺ جحودًا واستكبارًا؛ لتشابهها مبدأً وغايةً[2].

دلالةُ التّصريحِ باسم فرعون:

اللّينُ في الحوار امـتـثـالٌ لله تعالى، وحكمةٌ فـي الـنّـداء والخطاب

من معاني (فرعون) أنّه لقَبُ مدحٍ لمَن ملك مصرَ، وصرّح به؛ ليخاطبَه بما يعجبُه امتثالًا لأمر الله تعالى له أن يلينَ في خطابه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: 44][3]، فهو خطابُ إكرامٍ لأنّه ناداه بالاسم الدّالِّ على الملكِ والسّلطانِ بحسب متعارف أمّتِه، فليس هو بترفّعٍ عليه، والظّاهر أيضًا أنّ قولَ موسى هذا هو أوّلُ ما خاطبَ به فرعونَ، كما دلّت عليه سورةُ طه: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٣﴾ [طه: 43][4].

سرُّ التّوكيدِ في حكاية كلام موسى:

تـوكـيـدُ الـكـلام دفـعٌ لإمـكـان إنكاره، ولإظهار صـدقِ دعـوةِ مـوسى وثـبـات رسالتِه

وصوغُ حكايةِ كلام موسى بصيغة التّأكيدِ بحرف (إنَّ)؛ لأنّ المُخاطَبَ مَظِنّةُ الإنكارِ، أو التّردّدِ القويِّ في صحّة الخبر[5]. وحرف (إنَّ) يدلُّ على تحقيقِ المعنى وصدقِ رسالته؛ فقد استخدم موسى هذا الحرفَ لإظهار صدقِ دعوتِه وثباتِ رسالتِه، ولإبطال شبهاتِ فرعونَ وملئِه، ولتحذيرهم من عاقبة تكذيبِه ومخالفتِه، كما أنَّ قولَ

(1) رضا، تفسير المنار: 9/37.
(2) رضا، تفسير المنار: 9/38.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/78.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/37.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/38.

موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يحملُ في طيّاته تأكيدًا آخر، وهو تأكيدُ أنَّ موسى لا يتكلَّمُ من تلقاء نفسه أو مِن هواه، بل يتكلّمُ بوحي منَ الله تعالى، الّذي هو خالقُ كلِّ شيءٍ وربُّه ومليكُه[1]، وفيه إثباتُ صحّةِ ما جاء به من آياتٍ وبراهينَ، وإقامةُ الحجّةِ على فرعونَ وقومِه، وإظهارُ عظمةِ مَن أرسلَه وأمرَه.

علّةُ إخبارِ النّبيِّ بالرّسالة:

الإخبارُ بالرّسالة تربيةٌ للمهابة وإدخالٌ للرَّوع في قلوب المخاطَبين

وجعلَ الرّسالةَ عنوانًا لكلامه بإخباره بأنّه مُرسَلٌ منَ الله إليه؛ لأنّ مَن كان مُرسَلًا من جهةِ ربِّ العالمين أجمعين، فهو حقيقٌ بالقبول لما جاءَ به، كما يقولُ مَن أرسلَه الملكُ في حاجةٍ إلى رعيته: أنا رسولُ المَلِك إليكم، ثمّ يحكي ما أُرسِلَ به، فإنّ في ذلك من تربية المهابةِ وإدخال الرّوعةِ ما لا يقادرُ قدرُه[2].

وجهُ إيثارِ صفة ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

الوصفُ بالرّبوبيّةِ إبطالٌ لاعتقاد فرعون أنّه ربُّ مصرَ وأهلِها

اختيارُ صفةِ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الإعلام بالمُرسِلِ إبطالٌ لاعتقاد فرعونَ أنّه ربُّ مصرَ وأهلِها؛ فإنّه قال لهم: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّازعات: 24]، فلمّا وصفَ موسى مُرسِلَه بأنّه ربُّ العالمينَ؛ شملَ فرعونَ وأهلَ مملكتِه، فتَبطُلُ دعوى فرعونَ أنّه إلهُ مصرَ بطريق اللُّزوم، ودَخَلَ في ذلك جميعُ البلاد والعباد الّذين لم يكن فِرعونُ يَدَّعي أنَّه إلهُهم مثلُ: الفرسِ والآشوريّين[3].

سرُّ جمعِ لفظ العالمين:

الجمعُ يشيرُ إلى إظهارِ عظمةِ ربِّه، وسَعةِ رحمتِه، وشمولِ قدرتِه وحكمتِه

وأمّا جمعُ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع السّلامة؛ فلكون النّاس في جملتهم، والإنسان إذا شاركَ غيرَه في اللّفظ؛ غلبَ حكمُه، وقيل: إنّما جمعَ هذا الجمع؛ لأنّه عُني به أصنافُ الخلائقِ منَ الملائكة والجنّ دون غيرها[4].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/454.
(2) الشّوكانّي، فتح القدير: 2/263.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/38.
(4) الرّاغب، المفردات: (علم).

وفي قول موسى ﷺ لفرعون: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إظهارٌ لعظمة ربِّه، وسَعةِ رحمتِه، وشمولِ قدرتِه وحكمتِه على كلِّ شيءٍ، وأنّه لا يختصُّ بجهةٍ من شرقٍ أو غربٍ، أو قبيلةٍ، أو جنسٍ، بل هو ربُّ جميعِ المخلوقات.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»